دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العلوم السياسية والجغرافية السياسية : مجالات منسية ومجالات للتنمية
المصدر:	المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية
الناشر:	منظمة اليونسكو
المؤلف الرئيسي:	لابونس، ج. أ.
مؤلفين آخرين:	عبدالفتاح، بهجت(مترجم)
المجلد/العدد:	مج 14, ع 56
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1984
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	98 - 108
رقم MD:	356765
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	العلوم السياسية، الجغرافية السياسية ، علم الاجتماع السياسي ، الاحوال السياسية، العلاقات الدولية، وسائل الاتصال، المنظمات الدولية، النظم السياسية، التعاون الدولي، الصراع السياسي، السكان
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/356765

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

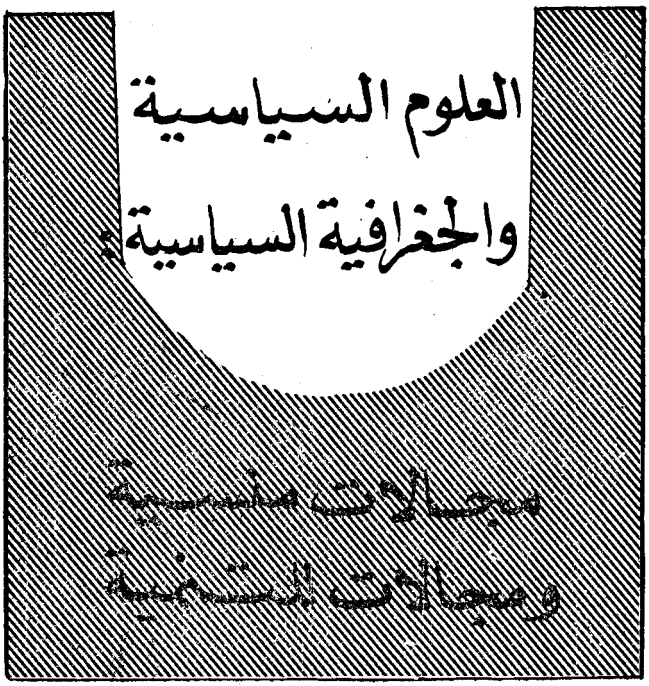

مرة أخرى تجتذب الجغرافيا السياسية اهتمام علماء السياسة ، اذ نجد أن الموضوع الذى اختاره عام ١٩٧٦ المؤتمر العالمى للرابطة الدولية للعلوم السياسية كان بعنوان « الزمان والمكان والسياسة » . ومنذ ذلك التاريخ ـ ١٩٧٦ ـ جرى تشكيل لجنة فرعية بحثية من هذه الرابطة تحت الرئاسة المشتركة لاحد علماء السياسة وأحد علماء علم الجغرافية ، وقامت هذه اللجنة الفرعية بتنظيم عدد من الندوات حول موضـــوعات تتعلق بالمناطق المركزية الوسطى والمناطق التى تقع على الأطراف ، ومنـــاطق الحدود والمناطق الانتخابية (الجرافية الانتخابية) والشبكات الشخصية والعوائق التى تعانى منهـا الأمكنة ، والمدن والعواصم ، واللغة والأرض الخ . ولكن الحقيقة هى أن الدفعة التى أدت بهذين العلمين (الجغرافية والسياسة) الى ان يرتبطا ثانية والى أن يعود التفاهم بينهما ، قد جاءت من جانب الجغرافيين ، ويتضح ذلك فى العدد الفصلى ربع السنوى من مجلة الجغرافية السياسية عام ١٩٨٢ . وهذا التلاقى والتقارب ينبىء بكل خير بالنسبة للمستقبل العاوم السياسية التى فرطت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية ، فى دور الفضاء فى العلاقات السياسية .

بقلم : ج . ا . لابونس

استاذ العلوم السياسية بقسم العلوم السياسية جامعة كولومبيا البريطانية ، فانكوفر كندا ، والرئيس السابق للرابطة الدولية للعلوم السياسية (١٩٧٣ - ١٩٧٦) تدور اهتماماته البحثية فى الوقت الحاضر حول اللغة والسياسة .

ترجمة : بهجت عبد الفتاح

ليسانس آداب قسم اللغة الانجليزية جامعة القاهرة . له ترجمات كثيرة فى مختلف الميادين الأدبية والاجتماعية .

وأود أن أقدم تفسيرا لهذا التفريط فى دور الفضاء فى السياسة ، وبعد ذلك أشير الى بعض مجالات البحث التى اما ان تكون قد تركت دون ان يعالجها أحد ، أو تركت توطئة لاستكمال معالجتها ، أو تلك التى يجب ان تعالج على الفور . وسوف أضع هذه القائمة من وجهة نظر عالم سياسى - أى من وجهة نظر علم موضوع دراسته الاساسية هو « اللا تماثل بين القوى » أو تباين القوى المختلفة .

العلوم السياسية ، والجغرافيا والعلوم الاجتماعية :

كيف يمكن ان نتعرف على المديونية الفكرية لكل فرع من فروع العلوم الاجتماعية تجاه الآخر ؟ الواقع ان هناك طرقا كثيرة ممكنة لوضع مثل هذا الكشف الحسابى أو هذه « الموازنة » ان صح التعبير فى هذا المجال . ولسوف اتبع طريقة واحدة وهى أن اعتمد على المقتطفات والاشارات بمعنى محاولة التعرف على عدد المرات التى اعتمدت فيها احدى الصحف والنشرات العلمية على صحف ونشرات العلوم الأخرى . وحتى نقتصد ولا نسرف فى الأمور الظاهرية ، سوف نوضح كل علم عن طريق اثنين من أبرز مطبوعاته ، واحد من الولايات المتحدة والآخر من المملكة المتحدة ، فهاتان الدولتان

تعتبران فى العلوم السياسية ، وفى العلوم الاجتماعية ككل ، من أكثر الدول انتاجا فى المطبوعات العلمية ٠

والدراسات التى استخدمناها فى هذا التحليل موجودة فى الجدول (١) ٠ وقد اخترنا لكل دراسة ، وبطريقة عشوائية ، عشر مقالات من عام ١٩٧٥ وعشر مقالات من عام ١٩٨١ ، واحصينا فى كل مقالة الاشارات التى وردت بها بالنسبة للعلوم الأخرى ، كما تتمثل فى الصحف العلمية المشار اليها ٠ فمثلا ، اذا كان هناك خمس مقالات فى صحيفة « مان » فى كل منها اشارة الى صحيفة « تاريخية » ، فاننا ناخذ الرقم « خمسة » على انه مقياس لما تدين به « صحيفة مان » للتاريخ ٠ واذا تضمنت واحدة من هذه المقالات الخمس اشارة الى عشرين من الدراسات التاريخية المختلفة وليس دراسة واحدة فقط ، فان « الدين » سوف يستقر عند الرقم خمسة ، ذلك لأننا نسعى لاحصاء ديون العلم ككل ، ولسنا نسعى لاحصاء دين المؤلف أو الكاتب بالنسبة للعلوم الأخرى ٠ وهناك مؤلف سابق (لابونس ـ ١٩٨٠) يصف فى شكل الروابط بين المدخلات والمخرجات (أو بين ما يستورد وما يصدر) نتائج مثل هذا التحليل بالنسبة لعام ١٩٧٥ ٠ وقد سجلت هذه التفاصيل فى الجدول (١) مع أرقام أخرى حديثة بالنسبة لعام ١٩٨١ ٠ وقد حدث فيما بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨١ ان ازدادت كمية التعاون والتبادل فيما بين العلوم ولكن حدث فى عام ١٩٨١ كما كان الحال فى عام ١٩٧٥ ، أن ظلت الروابط بين الجغرافيا والعلوم السياسية ضعيفة فاترة ٠ وبالرغم من أن الجغرافيا اعتمدت أكثر قليلا على السياسة فى عام ١٩٨١ ، عنها فى عام ١٩٧٥ ، الا أن العلوم السياسية تجاهلت الجغرافيا فى كلا العامين ٠

واننى أرى سببين رئيسيين لهذا التجاهل ٠ الأول هو انه بعد الحرب العالمية الثانية ، وعلى وجه الخصوص ، فى أمريكا الشمالية ، تطورت العلوم السياسية الحديثة بشكل أسرع فى فترة اتسمت بالاتصالات الاسرع والأيسر الأمر الذى جعل الناس يشعرون بأن الأثر الذى تحدثه الأرض والحدود على تحركات الانسان وعلى الاشياء والآراء قد ضعف بسبب التكنولوجيا الحديثة ، حتى ليمكن تجاهله دون خوف أو شعور بالتقصير ٠ ومن ثم فان علماء السياسة وضعوا لأنفسهم ـ كما فعل علماء الاجتماع ـ مهمة تحديد العقبات الثقافية والاقتصادية والتنظيمية التى تفصل بين هؤلاء الرجال وهذه الأشياء وهذه المبادىء ٠

وهناك سبب محتمل ثان لهذه الاوضاع التى ترتبط بحقيقة هامة وهى أن العلوم السياسية تمتد جذورها الى دراسة القانون وان الدولة هى مركز الثقل الذى تدور حوله وتنجذب اليه كل نظرياتها وتحليلاتها ٠ فعلى عكس عالم الجغرافيا الذى يحكم على الأشياء حسب العلاقات بين مواقع الاهتمام المبعثرة فى المكان ٠

جدول (١)

المدخلات والمخرجات (المستورد والمصدر) بين العلوم الاجتماعية المختلفة فى ١٩٧٥ ، ١٩٨١ ٠

	العلوم المستوردة ١٩٧٥						١٩٨٠					
	علوم سياسية	اجتماع	تاريخ	علم النفس	اقتصاد	جغرافيا	علم الانسان	علوم سياسية	اجتماع	تاريخ	علم نفس	اقتصاد	جغرافيا	علم الانسان
العلوم السياسية	—	٦	١	٢	—	١	١	—	٧	٣	—	—	٣	٢
الاجتماع	٩	—	٣	—	١	٣	٣	٧	—	٤	٣	١	٢	١
التاريخ	٢	٣	—	—	١	—	٣	٥	٣	—	—	—	١	٥
علم النفس	٥	٥	—	—	٢	١	٤	٣	٦	—	—	—	٣	٤
اقتصـــاد	٤	٢	٢	—	—	٢	١	٣	٨	٥	—	—	—	١
جغرافيـا	—	—	—	—	—	—	٣	١	—	١	—	—	—	٢
علم الانسان	—	٣	—	—	—	٢	—	—	٣	١	—	—	١	—

ملاحظة : الصحف التالية هى التى استخدمت فى هذا التحليل للرابطة بين العلوم الاجتماعية السالفة ٠

الولايات المتحدة

جمعية علم النفس الفردى والاجتماعى
النشرة الاقتصادية الامريكية
سجلات الرابطة الامريكية للجغرافية
نشرة علوم الانسان الامريكية
الصحيفة الامريكية لعلم الاجتماع
النشره الامريكية للعلوم السياسية
النشرة التاريخية الامريكية

المملكة المتحدة

الصحيفة البريطانية لعلم النفس
الصحيفة الجغرافية
مان
الصحيفة الاقتصادية
علم الاجتماع
الدراسات السياسية
التاريخ

ان عالم السياسة يتخذ الاطار كنقطة انطلاق لتحليلاته ٠ فهو يفكر فى النظام٠ قبل ان يفكر فى العلاقة ، وهو يركز على الدولة ، وعلى الحزب السياسى ، وعلى جماعات الضغط ، ويسال نفسه ماذا يهمه من هذا كله ، أهو التنظيمات الداخلية أو العمل السياسى ذاته ؟ وهذه الطريقة من التفكير والتى تبدأ بالاطار ثم بالمضمون غالبا ما

تبدأ من حدود مكانية (بمعنى تحالف دولى أو دوله او سلطة محلية) ، ولكن هـذا المكان يتحد كشكل للاطار التحليلى وليس كمؤثر ذى قيمه كابته او متغيرة لا بد من تحديد فعاليته وتوضيحه ٠

وفى الخمسينات والستينات استطاعت العلوم السياسية ان تقتحم النظم الجامده وذلك بانتهاج الدراسات السلوكيه ، ولكن هذا لم يقترب منها من اجرافيا ، ان لم يكن العكس هو الذى حدث ٠ وقبل ان تصبح استطلاعات الراى هى الوسيله المفضله لجمع المعلومات فى مجال العلوم السياسيه ، اضطر محللو السلوك الفردى ــ من أمثال اندريه سيجفريد ، وفرانسو جوجيل ، وماتييه دوجان ــ الذين يعتمدون فى تحليلاتهم على البيئة أن يستخدموا الخرائط أو ما يماثلها حتى يؤلفوا بين الخصائص والسمات الفردية التى يمكن أن ترتبط معا عند مستوى التجمعات الاقليمية ٠ ولكن استطلاعات الرأى لم تعد تعتمد على البيئة وتخلت عن الاعتماد عليها ، رغم وضع البيئة فى الاعتبـار كان يتسم بميزة هامة وهى اعطاء بعض الافـكار عن العوامل الجغرافية ٠ ومما يثير الانتباه ان « الصحيفة الفرنسية للعلوم السياسية » هى الصحيفة الوحيدة فى مجال العلوم السياسية التى يمكن ان تجد فيها خرائط ٠ أما الصحيفة الأمريكية للعلوم السياسية فانها لم تتضمن خرائط أبدا وكذلك الصحيفة الكندية للعلوم السياسية والمجلات التى تتعرض للدراسات السياسية ، وكذلك الصـحيفة البريطانية للعلوم السياسية ٠

وعلى حين تبتعد استطلاعات الرأى بالفرد عن المكان من حوله ، ويصبح فيها الفرد ــ وليس الجماعة ــ هو الوحدة الرئيسية للتحليل ، نجد ان هناك اتجاها مغايرا يتطور الآن ، والذى يخرج من الوحدة الواحد الى الكل المتكتل ، والذى ــ وهذا هو وجه الغرابة والدهشـة ٠ يتمتع بنفس التأثـير فى مجال العلاقات الدولية ٠ فمنذ الستينات وحتى الآن اقترح انصار التحليل الشامل الكلى أن ننظر الى العلاقات بين الدول لا على أساس العلاقات الثنائية بل على انها خصائص دولية للنظام الذى تنتمى اليه هذه الدول ٠ وقد كان أثر هذا التكتل هو ابعاد الدولة عن القالب المكانى الذى تعيش فيه ٠ ومن ثم بذلت محاولات لتفسير الأزمات والحروب لا على أنها صراعات محددة فوق اقاليم معينة أو من أجل موارد معينة ، بل على أنها تشبه هجمات الحمى التى يمكن ان تفسر فقط على أساس خلل فى النظام ككل ٠ وهذا الاتجاه البيولوجى لا شعوريا ، لم يؤد فحسب الى الارتفاع بالوحدات الصغيرة أو المكونات الى مرتبة النظم ، بل أدى الى فوضى وتشوش اذ يخلط بين المقاييس المتباينة للدرجة التى لا يمكن ان نميز معها أثر المكان أو الاقتصاديات أو الثقافات أو الحكومات ٠

ولو أن العلوم السياسية فيما بعد الحرب قد تطورت أساسا فى فرنسا ، حيث نفوذ سيجفريد ما زال قويا ــ لتغيرت أمور كثيرة ٠ ولكن الذى حدث هو ان هـذه العلوم تطورت فى الولايات المتحدة ، وهى دولة امبريالية قوية ارتأت فى نفسها قوة تقضى على الاستعمار وتفكر بمفاهيم الاسواق والايديولوجية ٠ وليس بمفاهيم الارض والحدود ٠ بل ان اتجاه سيجفريد فى فرنسا ذاتها ظل اتجاه الأقلية ٠

مجالات نفسية ومجالات للتنمية :

حدث فى الآونة الأخيرة أن قام الجغرافيون ـ وخصوصـــا تايلور (١٩٧٢) وجوتمان (١٩٨٢) ـ بوضع دليل لما يجب أن يتم عمله أو ما يجب أن يعاد عمله فى مجال الجغرافيا السياسية ، ولكن لم يحدث ـ حسب علمى حتى الآن ـ ان وضع دليل من وجهة نظر العلوم السياسية .

وبالنسبة للملاحظات التى سوف ابديها ، فاننى سوف اتخذ تعريفا مختلفا الى حد ما للعلوم السياسية عما اعتمد عليه واقترحه « ايستون » (١٩٥٣) ، والذى يعتبر التعريف المأخوذ به على نطاق واسع اليوم . وحسب تعريف ايستون فان هدف الدراسة هو توزيع السلطة لتشمل السلع والقيم ـ سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو أى شىء آخر . ولكنى أفضل ان أرى العلوم السياسية على انها دراسة الاتصالات والتعاون والصراعات التى تتولد عن طريق وجود السلطات الاجتماعية والمحافظة عليها وتغييرها .

الاتصالات والجغرافيا السياسية :

ان النموذج السوبر نطيقى (الذى يعتمد على علم الضبط) الذى يستخدمه « كارل رويتش » فى دراسة عن القومية (١٩٥٣) يعتمد على أساس واضح للمكان ، اذ يحدد الحدود الاقليمية والاجتماعية للدولة وذلك باستخدام خط المناسيب لأقل كثافة للاتصالات تفصل بين الجماعات البشرية . ولقد كان لهذا النموذج الذى ستشهد به كثيرا ردود فعل كبيرة على الجغرافيا السياسية ـ مثال ذلك فيما كتبه « ميريت » Merritt عن أمريكا المستعمرات وعن دولتى ألمانيـــا اليوم ، وفيما كتبه راست (١٩٦٧) Russett عن الاقليمية فى العلاقات الدولية (راجع أيضـــا كانتورى (١٩٧٠) Candori وفى أعمال اتزيونى Etzioni و « دى هاس De Haas وآخرين عن التكامل الأوربى (اتزيونى ١٩٦٢ و « دى هاس » ١٩٦٨) ، وكذلك فى كتب مثل « الدليل الدولى للمؤشرات السياسية والاجتماعية World's Hand book of political and social Indications الذى الفه تايلون Taylor Hudson عام (١٩٧٢) . ولكن النموذج الذى اعتمد عليه رويتش Deutsch لم يستغل تماما كما يجب . فعلى أســـاس المعلومات الاحصائيـــة التى تم تجميعها عن طريق الادارات الحكومية ، والمنظمات الدولية ، والمصارف (البنوك) الكبيرة ، يمكن ان نرسم جغرافيا مفصلة للاتصالات الاقتصادية . كذلك فان المعلومات التى تشبه تلك الموجودة فى الدليل الدولى حول كثافة الاتصالات البريدية والتليفونية ، تمكننا من قياس كثافات بعينها للاتصالات الاجتماعية ، ولكن ليس لدينا الا القليل عن الاتصالات السياسية ، فنحن نفتقد الدراسات المكانية لاتخاذ القرار ، كما نفتقد القياسات الخاصة للاتصالات المكتوبة والشفهية ـ التى تدور حول لمن ، وعن أى شىء وفى وأين؟ والحق ان جغرافية اتخاذ القرار السياسى سوف تكشف ولا شك عما يطلق عليه « فايفر » Fifer (١٩٧٩) أماكن خراب ـ أو أماكن مفتقدة ليس لها أى ماض ، أو ربما لها جزء ضئيل ، فى النظام السياسى ، وهو موقف قد يكون فى بعض الأحيان

مفيدا للنظام وفى بعضها الآخـــر مضرا ومخربا · ومما هو جدير بالذكر ان كلافال Claval (١٩٨٢) ·

يشير الى ان دور المدينة كمركز لاتخاذ القرار قد ضعف بسبب وجود التليفون والكمبيوتر والقمر الصناعى ، والأمر الذى يتيح للمناطق الهامشية النائية ان تجرى اتصالات سريعة مع المصادر الرئيسية فى الداخل · ولكن أليس هناك ـ فى عصر يتسم بالاتصالات الميسورة جدا ـ اتجاه للبحث عن حماية من الكثرة الزائدة من الرسائل لطمأنة الجماعات الصغيرة وتوكيدا للاتصالات المباشرة ؟ أليس صحيحا أن الشبكات غير المكانية والتى تكون بعين الاشخاص بعضهم البعض ، والتى تعمل بشكل جيد ، تكون ذات أصل مكانى دقيق ؟ أليست الشبكات البريدية وشبكات التلكس والتليفونات مجرد وسائل استجمام على مبعدة من علاقات بدأت فى شكل اتصالات شخصية مباشرة ؟ وليس هناك اتجاه ـ فى وقت يتعرض فيه الفرد لأن يبتلعه هذا الكل الكبير غير الفراغى (المكانى) ، للبحث عن قبيلة صغيرة ودودة قريته وخصوصا ـ وكما هو الحال الغالب فى السياسة ـ اذا كانت عدم الثقة تطفو على السطح دائما ، ان جغرافية القبائل ـ الصغيرة والكبيرة ـ والتى يحيط صناع القرار السياسى انفسهم بها ، يجب ان تتأسس (كلافال ١٩٨٢) ، فسوف تظهر موقف صناع القرار لا على الخرائط الطبيعية بل بالنسبة للخرائط العقلية كذلك (هنريكسون Henrikson) ، والتى ستنتظم حول نقاط جوهرية قد تكون تختلف جدا عن تلك التى تحددها البيئة الادارية أو السياسية التى يعمل فيها الفرد · ويجب ان تتطور دراسة مثل هذا النوع من الجغرافيا لا على مستوى الوحدات الاقليمية الكبيرة فحسب بل أيضا على مستوى الوحدات العاملة الصغيرة فعلا · ولنأخذ مثالا لذلك العاصمة الفيدرالية لكندا · ان المكان الذى تحتله وزارتها يكشف عن الكثير · فالوزارات الأقل أهمية ـ مثل تلك التى تتعلق بالثقافة والمواصلات ـ تقع على جانب كويبك من الحدود فى مدينة يقع جزء منها فى اونتاريو والجزء الآخر فى كويبك · أما الوزارات الكبيرة ـ مثل وزارات المالية والاقتصادية والخارجية ـ فتقع على جانب « اونتاريو » · ولكن كيف تم الوصول الى هذا التقسيم ؟ وما هى نتائجه ؟ وأكثر من ذلك ، أليس هناك تحت تصرفنا دراسة عن الجغرافيا الداخلية لكل من هذه الوزارات مما يســاعدنا على تفهم القرار الذى اتخذوه ؟ وسوف تركز هذه الدراسات فى بعض الحالات على الأرضيات فى المبنى · اننا اعتدنا كثيرا على التفكير فى الجغرافيا بمفهوم الأرض لا بمفهوم الاقليم فهناك عن السكان فى طابق واحد كثير من ناطحات السحاب فى اوتاوا ونيويورك أو تورونتو ، ما يفوق عددهم فى كثير من القرى التى أجريت عليها دراسات جغرافية مفصلة · وقد تعرفنا على الخطوط العريضة لجغرافية البيت الأبيض فى واشنطن ، لان المجلات الامريكية المشهورة مثل نيوزويك وتايم تعطى بعض الاهمية له ، ولكن هذا استثناء · فانه من المفيد والممتع ان تكون هناك معلومات مماثلة بالنسبة لكندا وفرنسا والاتحاد السوفيتى ·

وقد تم اختيار هذه الامثلة القليلة ـ ويمكن ان نقدم الكثير ـ حتى يمكن ان نوضح العادة السيئة التى انخرط فيها علماء السياسة عندما فكروا فى الاتصالات

خارج نطاقها الاقليمي · والحق ان المكان شكل آخر من أشكال الزمن ، ولا يمكن ان يضغط أو يلغى دونما تقديم ثمن مغاير جدا من المهم ان تحسب ، وبالنسبة لصنع القرار السياسى يلعب الوقت (الزمن) دورا هاما ، رغم انه دور مغاير اذ أن بعض النظم السياسية تكون دائما فى عجلة ، على حين يتأتى بعضها الآخر ويأخذ وقته (أو يضيعه) · ومن ثم فان جغرافية الاتصالات بين صناع القرارات سوف تقيس هذه الاختلافات ·

التعاون والجغرافيا السياسيه :

لا تزال العلوم السياسية فى أوربا ـ وهى تتعرض لمؤثرات مختلفة مثلما حدث مع ماركس Marx وبارتيو Pareto ، تؤيد فكرة الصراع فى دراساتها للظواهر السياسية على حين يؤيد الفكر السياسى فى أمريكا الشمالية ، فكرة اجماع الرأى ، وفكرة التوازن · لقد أدت نتابات ريكر Riker (١٩٦٢) وخصوصا فى نظريته عن الائلافات وكذلك التجارب المعملية التى أجراها جامسون Gamson (١٩٦١) الى ان يتذكر علماء السياسة فى أمريكا الشمالية ان الجزء الاكبر من نشاط رجل السياسة يتضمن تشكيل الائتلافات ، التى يرجو ان تكون ناجحة ، وعلى ان تكون تكاليفها قليلة بقدر المستطاع ، ومن ثم فان الائتلافات تتأسس على التعاون المحدود وليس على اجماع الآراء أو الصراع ·

ولا تزال المعلومات الجغرافية تستخدم فى دراسة الائتلافات فى مجالين هما مجال العلاقات الدولية ومجال دراسات السلوك الانتخابى ·

وبالنسبة لدراسة الانتخابات نجد ان تاريخ الجغرافيا السياسية منذ قبل الحرب العالمية الثانية لا يزال حيا حتى اليوم · ومع ذلك وحتى فى هذه الدراسات ، غالبا ما يعتبر الفضاء الطبيعى أو المكان الطبيعى اطارا اعلاميا أكثر منه سببا أو مؤثرا · فدراسة آثار الجيرة (عما اذا كان الانسان يتأثر بالآراء السياسية للدول المجاورة أولا) تشكل نسبة صغيرة جدا فقط بالنسبة للدراسات التى تجرى حول سياسات الانتخاب (وولز تنكروفت ١٩٨٠ Woolstencroft) · ومع ذلك فان النظرية السيكلوجية لرأى الفرد تقول ان الفرد يحاول أن يقترب بآرائه أكثر وأكثر من هؤلاء الذين يشكلون أية مجموعة يمكن أن تحتويه ضمن شبكة اتصالات محكمة · ولهذا السبب فإن عمليات المسح ذات العينة الكبيرة التى قام بها مركز البحوث الخاصة بالمسح فى جامعة ميتشيجان منذ أوائل السبعينات · قد أشارت الى التفاصيل البيئية التى تجعل من الممكن وضع كل موضوع يجرى النقاش والمقابلة من أجله فى اطار بيئته الاجتماعية · ومن سوء الحظ ، ان هذه التفاصيل لم تستغل الا نادرا بطريقة منظمة · فالنموذج يختفى وراء تحليل المفاضلات السياسية لا يقوم على أساس أن الفرد مثل الحرباء يتخذ شكل البيئة التى يعيش فيها ، ولكن على أساس ان الفرد الكائن واع وعاقل ورشيد ، تتحدد آراؤه بصيغة تكون فيها العوامل الرئيسية والهامة هى تلك التى تتعلق بالمصالح الاقتصادية من جهة ومن الجهة الاخرى ارتباطه العاطفى بالأسرة وبالجماعة العرقية التى ينتمى اليها · وتمسكا بهذا النموذج ، استبعد

الباحثون امكانية اجراء دراسات مفيدة مجدية حول العلاقة بين الفرد والوسط المحيط به · ونحن نفتقد الدراسات التى تدور حول المواطن الذى يغير مسكنه ـ دون ان يغير مهنته ـ ومن ثم يغير بيئته السياسية · فهل يستطيع مثـل هذا الانسـان ان يكيف خياراته حسب هذا الوسط الجديد ، واذا كان ذلك ممكنا ، فالى متى تطول ؟ ومن بين الدراسات النادرة التى لدينا حول هذه الظاهرة (اولاو Eudan ١٩٨٠) دراسة تقيس الاختلافات الظاهرة الملحوظة ، معتمدة على عدد الساعات التى يقضيها الانسان فى البيت أو فى المكتب ·

واذا تركنا العلاقات الدولية والسلوك الانتخابى جانبا ، نجد ان جغرافيـة التعاون السياسى تكاد تكون غير موجودة ·· ويكفى ان نعيد هنا ما قلناه بالنسبة للاتصالات ثم نضيف انه من الضرورى فى أية جغرافيا للاتصالات السياسية ان تفرق بين الاتصالات المحايدة وبين تلك التى تعتبر أما مصدرا للتعاون أو سببا للصراع · وبداية فان قياسات كثافة الاتصالات ، والتى أجريت بتأثير من « كارل دويتش » ، لم تحدد الفروق بين هذه الانماط المختلفة من الاتصالات · ويجب ان نذكر هنا ان « دويتش » نفسه فى آخر أعماله (١٩٧٠) يصر على ضرورة تحديد هذا الفرق ، ويوصى بأن يجرى قياس الفروق المشتركة لأثر الاتصالات على الذى يبدأ بها والذى يتلقاها · وهذه الآثار قد تكون ايجابية أو سلبية أو محايدة · وهنا نفتقد مرة أخرى المعلومات الاساسية جدا ، التى يمكن ان نحصل عليها عن طريق عمليات المسح الخاصة بالافراد وبيئتهم عن طريق العينات العشوائية · ولكن الحقيقة هى أن عملية المسح النموذجية للآراء والاتجاهات السياسية تحاول ان تحدد مصادر الاعلام (الصـحافة ـ الاذاعة الأسرة ـ الأصدقاء ·· الخ) ، التى تؤثر فى الناخب فى فترة انتخابية دونما وضع هذه المؤثرات حسب مفاهيم مكان الذين يجرون الاتصالات ، والآثار الايجابية أو المحايدة أو السلبية للوسائل المتبادلة فى هذه الاتصالات ·

جغرافية الصراعات :

فى مجال العلاقات الدولية نجد أن تاريخ الدراسة المكانية للصراع قد احتفظ به حيا فى العلوم السياسية · ومع ذلك فان التحليل الشامل الذى يفضل القياسات العامة للنظام الدولى (مستويات التسلح ـ عدد الضحايا ··· الخ) يميل الى ان يضع فى المرتبة الثانية أهم علاقات الجوار والبعد · وحسب مفاهيم الكليات والمتوسطات نجد ان الفهارس العامة تضع الدول معا بلا تحديد كما لو أنها درنات البطاطس ، مما يجعل من العسير التعرف على الاهداف وعلى القدرات الفردية وعلى الاقاليم والأراضى · وهنا يجب ان نذكر انه من بين ثمانية كتيبات عن العلاقات الدولية والتى تستخدم على نطاق واسع فى الجامعات الامريكية (وهى « مورجنثاو » ١٩٥٠ Morgenthau و « اورجانسكى » ١٩٦٨ Organski ، وموديلسكى ١٩٧٢ Modelski و « كوبلين » ١٩٧٤ coplin و « سترلنج » ١٩٧٤ Sterlins و « روزيناو » ١٩٧٦ Rosenan و « هولستى » ١٩٧٧ Holsti و « ستار » و « راست » Starr ١٩٨١) نجد ان اثنين فقط (هما « روزنياو » و « راست وستار ») تحتويان على خرائط ، كما نجد ان ثلاثة فقط (مورجنثاو » و « روزنياو » و « كويلين » هى التى تتضمن

فى قوائم محتوياتها أية عبارات ذات مدلولات جغرافية (مثل جغرافيا ، بيئية الخ) ومن المهم أيضا ان نشير الى انه فى فهارس هذه الكتب تشكل الكلمات الرئيسية مثل المكان والاقليم والبعد (المسافة) والجغرافيا والبيئة والموقع ما يقرب من صفحة الى أربع وسبعين صفحة من بين صفحات هذه الكتب التى تزيد على أربعة آلاف وتسعمائة وخمسين صفحة ٠

واذا عقدنا مقارنة مع المؤلفات الفرنسية ، فسوف نجدها صارخة ـ فكل من ارون Aron ١٩٦٦ ، «وميرل» Merle ١٩٧٤ و « رينوفان » Renouvin و « دوروسيل » ١٩٦٤ لا يستخدمون الخرائط فى مؤلفاتهم ولكن « رينوفان » و « دوروسيل » يقدمان تحليلاتهما بفصل عن الجغرافيا ـ أما الكلمات الرئيسة ذات الدلالات الجغرافية أو البيئية فهى تشكل مايقرب من صفحة الى أربعين صفحة من بين ثلاثمائة وست وسبعين صفحة ٠ أما بالنسبة لمؤلفات « ارون » و « ميرل » فان النسبة تمثل ثمان وأربعين صفحة الى سبعمائة وسبع وثمانين ، وتسع وثمانين صفحة الى اربعمائة وثلاث وعشرين على التوالى ٠ وهذه القياسات الكمية المثيرة تشير الى ان افتقاد الاهتمام بالجغرافيا سمة أساسية فى الكتب الجامعية فى أمريكا الشمالية وهى التى تستخدم بكثرة فى تدريس العلاقات الدولية ٠

الصراع والكثافة « السكانية » :

يقول اندريه سيجفريد Andrt Siegfried ، فى وصفه للاحزاب السياسية فى غرب فرنسا ، ان الأرض ـ معتمدة على مسامها ، وسواء تحتفظ بالمياه قريبة من السطح أو تتركها تتسرب تحت الأرض ، تسهل السكنى سواء كانت هذه السكنى متفرقة أو مركزة ، وان هذا التركيز المتباين يتخذ شكلا سياسيا سواء كان الاتجاه السياسى راديكاليا أو محافظا ٠ وهذه الصيغة تتردد كثيرا فى المقارنات التى تعقد بين الثقافات السياسية فى المدينة والثقافات السياسية للريف ، وبين الثقافة السياسية للضواحى التى تسكنها الطبقة العاملة ، وبين المناطق التى يسكنها الموسرون ، ولكن عنصر الجغرافيا الطبيعية ، الذى يعتبر عند سيجفريد السبب الرئيسى ، قد أهمله من جاءوا بعده ، ووضعوا بدلا منه عنصر « التفسيرات الثقافية فالاختلافات التى تحدث هذه الأيام بالنسبة للون السياسى بين المدينة والريف تعزى الى الاختلافات بين العقلية الريفية وعقلية الحضر ومع ذلك فهناك احصائيات وتقديرات تجريبية (سومر Sommer ١٩٦٩) توضح ـ دون اللجوء الى الاتجاهات العقلية بحثا عن أى تفسير ـ آثار ونتائج الكثافة السكانية على سلوك الافراد والجماعات ٠ ورغم ذلك فان العلوم السياسية لم تجمع المعلومات التى تحتاجها حتى تربط بين الطرق المختلفة لتحديد المكان والاتجاهات السياسية والسلوك ٠ ولنأخذ مثالا لذلك فى صراعات اللغات (لابونس Laponce ١٩٨٠ و ١٩٨١) فحتى يمكن ان نقيس تداخل اللغات التى تتصل كل منها بالأخرى ، ومن ثم يضطر الباحث ، عندما يحدث أى موقف للصراع بينها يضطر ـ لافتقاد المصادر الصحيحة ـ الى الاحصائيات السكانية الرسمية التى تحدد اللغات موضع الدراسة فى المناطق التى « تهجع » فيها ، وليس فى المناطق التى « تلتقى » فيها ٠ فسكان « النهار » وسكان « الليل » بالنسبة

لمدن مثل بروكسى ومونتريال يختلفون كثيرا · وتشير الدراسات الخاصة بتحديد المكان عن طريق الحيوانات الاقليمية الى ان الدخيل هو الاكثر رفضا كلما توغل فى الأراضى الاجنبية ·· ويبدو ان الانسان يتصرف بنفس الطريقة ، وان شدة الصراع الذى يحدثه التداخل الاقليمى بين اللغات يرتبط بالطريقة التى يحدد بها الافراد الذين يتحدثون اللغات الأصلية (الأم) المختلفة ماهية المكان الطبيعى ·· ولكى نتفهم مثل هذه الصراعات ـ اللغوية وغيرها ـ فنحن نحتاج الى معرفة أين تقع الحدود التى تحدد أرضنا وأرضهم ، وهى حدود لا تتعلق بالحدود الادارية التى تستخدم فى احصاءات السكان أو فى الحدود بين الاقاليم (المناطق) الانتخابية التى تضعها السلطات العامة لاغراض بعيدة كل البعد عن تلك التى تتعلق بفهم الديناميكية الاجتماعية · فالأمر الذى يحدثه لقاء بين واحد ممن يتحدثون الانجليزية وواحد ممن يتحدثون الفرنسية فى مدينة مثل مونتريال سوف يختلف كثيرا ، اذ يعتمد على ما اذا كان هذا اللقاء يتم فى مكان عمل أو فى مكان لهو ، وما اذا كان المكان موضع الدراسة يقع فى أرضنا أو فى أرضهم أو فى منطقة محايدة · ومن ثم فان أثر اللغة المستخدمة فى الاتصال فى هذا اللقاء الافتراضى يجب ان يكون مختلفا تماما اذ يعتمد ذلك على طبيعة المكان الذى يتم فيه · وهكذا فان جغرافية مثل هذه الاقاليم ومثل هذه اللقاءات يجب ان تتضح وتستقر ·

خاتمـــة :

اذا اعتبرنا انه من الخير للعلوم السياسية ان تبدأ فى ان تستثمر مرة أخرى مجالات البحث هذه التى يحتمل ان تترك بلا فلاحة أو استثمار (وهى جغرافية العلاقات الدولية والجغرافيا الانتخابية بوجه خاص) ، فان الاقليم والمسافة أو البعد يجب فى هذين المجالين ان يتركا دوريهما كمتغيرات مستقلة أو تابعة · وبمعنى آخر يجب ان نتخلى عن فكرة ان الجغرافيا هى الاطار وان السياسة هى الصورة · وأكثر من ذلك يجب ان نستخدم نموذجا للتحليل السياسى يكون المكان موجودا فيه دائما ·

ويمكن ان يتخذ هذا النموذج شكل الاجابة على هذه التساؤلات : لنفترض ان شخصا ما أو منظمة ما أو قوة اجتماعية معينة (سواء كانت طبقة اجتماعية أو جماعة عرقية) تستهدف خلق أو تدعيم أو تغير أى نظام ، فماذا سيكون عليه بمفهوم هذه الأهداف ـ البناء المكانى الذى سوف يتصرف على أساسه هذا الفرد أو هذه المنظمة أو هذه القوة الاجتماعية حتى يمكن تحقيق الأهداف عن طريق استخدام العلاقات الخاصة بالاتصالات والتعاون أو الصراع شكل (١) · فمثلا يمكن للبناء المكانى الذى استقر لأهداف صراعية أن يستخدم لأغراض التعاون أو أن تستمر الأمكنة التى تعرف بأنها نتاج فى الماضى فى ان تؤكد الاتصال أو الصراع فى فترة قادمة ·

وبمعنى آخر فان على علماء السياسة أن يأخذوا فى الاعتبار آثار الجمود المكانى ـ جمود الجغرافيا الطبيعية ، وجمود الجغرافيا البشرية ـ على تطور النظم ، وهذا حسب مفاهيم الطبيعة الوظيفية وغير الوظيفية لما يطلق عليه رافيستان Raffestin ١٩٨٠ « رباعية السلطة » أو بمعنى أدق قوة سلطة الدولة على ان تقيم الاتصالات والائتلافات والصراعات لاغراض تخدم النظام ·

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٣ / ١٩٨٤